

سُورَةُ الْجِنِّ كُوبَاتٍ

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الجنكوب: ١٩]

القراءات: «يروا» قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر وشعبة بخلف عنه بتاء الخطاب، وقرأ الباقون بياء الغيب وهو الوجه الثاني- لشعبة.

التوجيه: قال الألوسي: وذهب بعض المحققين إلى أن قوله تعالى «أن تكذبوا»

إلخ من كلام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقوله سبحانه ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ إلخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للإنكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله، والهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها، والواو للعطف على مقدر، أي ألم ينظروا ولم يعلموا كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة، ومن غير مادة، أي، فتعلموا ذلك، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بخلاف عنه، «ألم تروا» بتاء الخطاب وهو على ما قال هذا البعض لتشديد الإنكار وتأكيده، ولا يحتاج عليه إلى تقدير قول، ومن لم يجعل ذلك كلاماً مستأنفاً مسوقاً من جهته تعالى للإنكار على تكذيبهم بالبعث، قال: إن الخطاب على تقدير القول، أي قال لهم رسلهم: «ألم تروا» ووجه ذلك، بأنه جعل ضمير «أو لم يروا» على قراءة الغيبة لأمر في قوله تعالى «أمر من قبلكم»، فيجعل في قراءة الخطاب له أيضاً ليتحد معنى القراءتين، وحينئذ يحتاج لتقدير القول ليحكي خطاب رسلهم معهم؛ إذ لا مجال للخطاب بدونه وقيل: إن ذاك، لأنه لا يجوز أن يكون الخطاب لمنكري الإعادة من أمة إبراهيم، أو نبينا -عليهما الصلاة والسلام- وهم المخاطبون بقوله تعالى: «وإن تكذبوا»، لأن الاستفهام للإنكار، أي قد رأوا، فلا يلائم قوله تعالى «قل سيروا» إلخ، لأن المخاطبين فيها هم المخاطبون أولاً؛ يعني إن كانت الرؤية علمية، فالأمر بالسير، والنظر لا يناسب لمن حصل له العلم بكيفية الخلق، والقول بأن الأول دليل أنفسي، والثاني أفاقي مخالف للظاهر من وجوهه. اهـ، فتدبر. ولعل الأظهر والأبعد عن القيل والقال في نظم الآيات ما نقلناه عن بعض المحققين.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ
الْآخِرَةَ﴾ [الْحَجَّكُوتُ: ٢٠].

القراءات: «النشأة» قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين وألف بعدها، والباقون
بإسكان الشين وحذف الألف.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ «النشأة» بوزن فعلة، وهي المرة من النشاء وهو
الإيجاد، عُبر عنها بصيغة المرة، لأنها نشأة تخالف النشاء الأول، ويقال النشاء بمد بعد
الشين بوزن الكآبة ومثلها الرأفة، والرءافة، ووصفها بالآخرة إيحاء بأنها مساوية للنشأة
الأولى، فلا شبهة لهم في إحالة وقوعها.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا﴾ [الْحَجَّكُوتُ: ٢٥].

القراءات: «مودة بينكم» قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس برفع تاء
«مودة»، بلا تنوين و «بينكم» بالخفض، وقرأ نافع وابن عامر وشعبة، وأبو جعفر وخلف
العاشر بنصب تاء «مودة» وتنوينها ونصب «بينكم»، وقرأ الباقر وهم حفص وحمزة
وروح بنصب تاء «مودة» بلا تنوين.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر
وخلف «مودة» منصوباً منوناً بدون إضافة و «بينكم» منصوباً على الظرفية، وقرأ حمزة و
حفص عن عاصم وروح عن يعقوب «مودة» منصوباً غير منون؛ بل مضافاً إلى «بينكم»
و«بينكم» مجروراً وهو من إضافة المظروف إلى الظرف، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
ورويس عن يعقوب مرفوعاً مضافاً على أن تكون «ما» في «إنما» موصولة، وحقها أن تكتب
مفصولة و«مودة» خبر «إن»، فتكون كتابة «إنما» متصلة من قبيل الرسم غير القياسي،
فيكون الإخبار عنها، بأنها مودة إخباراً مجازياً عقلياً باعتبار أن الاتخاذ سبب عن المودة

ولما في المجاز من المبالغة كان فيه تأكيد للخبر بعد تأكيده بـ «إن»، فيقوم التأكيدان مقام الحصر إذ ليس الحصر، إلا تأكيداً على تأكيد، كما قال السكاكي: أي: لأنه؛ بمنزلة إعادة الخبر حيث يُثبت ثم يؤكد بنفي ما عداه. والخبر مستعمل في غير إفادة الحكم، بل في التنبيه على الخطأ بقريته قوله عقبه ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾، ونظيره جملة صلة الموصول في قول عبدة بن الطيب:

إِن الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ يَشْفِي غَلِيلَ صَدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

ولما كان في قوله «مودة بينكم» شائبة ثبوت منفعة لهم في عبادة الأوثان إذ يكتسبون، بذلك مودة بينهم تلذذ لنفوسهم قرنه بقوله ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾، إلخ تنبيهاً لسوء عاقبة هذه المودة وإزالةً للغرور والغفلة ليعلموا أن اللذات العاجلة لا عبرة بها إن كانت تعقب ندامة آجلة.

وقال القرطبي: فأما قراءة ابن كثير ففيها ثلاث أوجه، ذكر الزجاج، منها وجهين:

أحدهما أن المودة ارتفعت على خبر «إن» وتكون «ما»، بمعنى الذي. والتقدير: إن الذي اتخذتموه من دون الله أوثاناً مودةً بينكم، والوجه الآخر أن يكون على إضمار مبتدأ، أي هي مودة أو تلك مودة بينكم، والمعنى أهتكم، أو جماعتكم مودة بينكم. قال ابن الأنباري «أوثاناً» وقف حسن عند رفع المودة بإضمار ذلك مودة بينكم. ومن رفع المودة على أنها خبر «إن» لم يقف. والوجه الثالث- الذي لم يذكره أن يكون «مودة» رفعاً بالابتداء و «في الحياة الدنيا» خبره، فأما إضافة «مودة» إلى «بينكم»، فإنه جعل «بينكم» اسمًا غير ظرف، والنحويون يقولون جعله مفعولاً على السعة، وحكى سيبويه: يا سارقُ الليلةَ أهلَ الدارِ؛ ولا يجوز أن يضاف إليه وهو ظرف؛ لعله ليس هذا موضع ذكرها. ومن رفع «مودة» ونونها فعلى معنى ما ذكره و «بينكم»، بالنصب ظرفاً، ومن نصب «مودة»، ولم ينونها جعلها مفعوله بوقوع الاتخاذ عليها، وجعل «إنها» حرفاً واحداً، ولم يجعلها بمعنى الذي، ويجوز نصب المودة على أنه مفعول من أجله كما تقول: جئتكَ ابتغاءَ الخير، وقصدت فلاناً مودةً

له «بينكم»، بالخفض ومن نون «مودة» ونصبها فعلى ما ذكر «بينكم»، بالنصب من غير إضافة قال ابن الانباري: ومن قرأ «مودة بينكم» و «مودة بينكم» لم يقف على الأوثان، ووقف على الحياة الدنيا، ومعنى الآية جعلتم الأوثان تتحابون عليها وعلى عبادتها في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ تتبرأ الأوثان من عبّادها والروؤساء من السفلة، كما قال الله عز وجل ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

[النَّحْوُ: ٦٧].

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

وَعَائِنَهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [الْحَبْكُوتُ: ٢٧]

القرءات: قرأ نافع «النبوءة» وقرأ الباقون «النبوءة».

التوجيه: قرئ «النبوءة» بالهمز على أن أصل الفعل «نَبَأَ» و«أَنبَأَ» وقرئ بغير همز

«النبوءة» على أن أصل الفعل «نَبَأَ» ومثل هذا يقال في «النبى» بغير همز «والنبى» بالهمز.

قال في لسان العرب: قال الجوهري: النبى: المخبر عن الله - عَزَّ وَجَلَّ - لأنه أنبأ

عنه وهو فعيل بمعنى فاعل وقال ابن برى: صوابه أن يقول فعيل بمعنى مُفْعِلٍ مثل

نذير بمعنى مُنْذِرٍ وأليم بمعنى مُؤَلِّمٍ وقال سيبويه: ليس أحدٌ من العرب إلا ويقول: تنبأ

مسليمة بالهمز غير أنهم تركوا الهمز في النبى كما تركوه في الذرية والبرية والخابية إلا أهل

مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك، قال: والهمز

في النبى لغة رديئة يعني لقله استعمالها لا لأن القياس يمنع ذلك وقال الفراء: النبى هو

من أنبأ عن الله فترك همزه، وقال: وإن أخذ من النبوة والنباوة -وهي الارتفاع عن الأرض-

فالمناسبة أنه أشرف على سائر الخلق فأصله غير الهمزة. قال ابن منصور: والنبى: الطريق

الواضح.

قلت: كل ما ذكر من معاني يصدق على الأنبياء؛ فهم أشرف الناس منزلة وأعلاهم قدراً وكذا هم يخبرون عن الله بشره وكذا هم يقتدى بهم فهم طرق من سلك سبيلهم دخل الجنة ويصح كذلك أن يكون «النبى» فعيل بمعنى مفعول كما أنه يصح أن يكون «فَعِيل» بمعنى فاعل، ويكون المعنى على مفعول أنه هو المنبأ من الله، والله أعلم.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) أَيْ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ [الجنكوت: ٢٨ - ٢٩].

القراءات: قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب «إنكم لتأتون أئنكم لتأتون»، وقرأ الباقون «أئنكم لتأتون أئنكم لتأتون».

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم وأبو جعفر «إنكم لتأتون الفاحشة» بهمزة واحدة على الإخبار المستعمل في التوبيخ، وقرأه أبو عمرو وهمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وخلف بهمزيين همزة الاستفهام وهمزة «إن»، وقرأ الجميع، «أئنكم لتأتون الرجال» بهمزيين.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لَوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الجنكوت: ٣٢]

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب «لَنُنَجِّيَنَّهُ» وقرأ الباقون «لَنُنَجِّيَنَّهُ».

المعنى: قال في لسان العرب: النَّجَاءُ: الْخَلَاصُ مِنَ الشَّيْءِ نَجَا يَنْجُو نَجْوًا وَنَجَاءً وَنِجَاءً، وَالنَّجْوَةُ وَالنَّجَاةُ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ فَلَمْ يَعْطُهُ السَّبِيلُ فَظَنَّته نِجَاءً وَالْجَمْعُ نِجَاءٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] أَي نَجْعَلُكَ فَوْقَ نِجْوَةٍ مِنْ

الأرض فنظرك أونلقيك عليها لتعرف وقال الزجاج معناه نلقيك عُريَانًا لتكون لمن خلفك عبرة وقال أبو العباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [الْحَجَّكُوتُ : ٣٣] أي نخلصك من العذاب وأهلك، واستنجدى منه حاجته: تَخَلَّصَهَا ومعنى نجوت الشيء في اللغة خَلَّصْتَهُ وَأَلْقَيْتَهُ.

التوجيه: قال في لسان العرب: يقال أنجيتُ غيري ونجيتُهُ ونجَّاه اللهُ وأنجاه يقصد أتمها بمعنى.

قلت: قراءة «لننجينه» بتشديد الجيم من «نجى» وقرئ «لننجينه» بكسر الجيم مخففة من «أنجى» ووجه القراءة الأولى - والله أعلم - بيان عظيم هول العذاب الذي نجى الله لوطاً ومؤمني أهله منه كما يفيد عظيم المنة عليهم في إنجاءهم، وذلك لما يفيدته التشديد [تشديد الجيم] من التثقل، والقراءة الثانية تفيد أن ذلك الإنجاء في قدرة الله يسير، فالله على كل شيء قدير، وذلك لما يفيدته التخفيف [تخفيف الجيم] من الخفة.

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾

[الْحَجَّكُوتُ : ٣٣].

القراءات: قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص وأبو جعفر «مُنَجُّوكَ»، وقرأ الباقون «مُنَجُّوكَ».

التوجيه: قراءة «منجوك» بتخفيف الجيم تدل على سهولة هذا الإنجاء في قدرة الله، وقراءة تشديد الجيم تدل على عظيم الهول والعذاب الذي أنجى الله لوطاً وقومه منه.

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّا مُنَزِّلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا

يَفْسُقُونَ﴾ [الْحَجَّكُوتُ : ٣٤]

القراءات: قرأ ابن عامر «مُنَزِّلُونَ» وقرأ الباقون «مُنَزَّلُونَ».

التوجيه: قرئ «منزلون» بتشديد الزاي للدلالة على التكثر والاستمرار، فما أعظم العذاب الذي أنزله الله عليهم، وهذا العذاب مستمر، فهم في برزخهم يعذبون وإذا قامت الساعة أدخلوا النار، وقراءة «منزلون» بتخفيف الزاي تدل على استئصالهم بذلك العذاب، وعلى أن نزوله كان دفعةً واحدة، فهما قراءتان متكاملتان.

قَالَ الْعَلَاءِيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الْحَجَّكُوتُ: ٤٢]

القراءات: «يدعون» قرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بياء الغيب، وقرأ الباقون بتاء الخطاب على الالتفات.

التوجيه: قال ابن جرير: اختلف القراء في قراءة قوله «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ»، فقرأته عامة قراء الأمصار «تَدْعُونَ» بالتاء بمعنى الخطاب لمشركي قريش «إِنَّ اللَّهَ» أيها الناس «يعلم ما تَدْعُونَ» إليه من دونه من شيء، وقرأ ذلك أبو عمرو «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ» بالياء، بمعنى الخبر عن الأمم: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُو هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ. والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ بالتاء؛ لأن ذلك لو كان خبراً عن الأمم الذين ذكر الله أنه أهلكتهم، لكان الكلام: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا كَانُوا يَدْعُونَ، لأن القوم في حال نزول هذا الخبر على نبي الله لم يكونوا موجودين، إذ كانوا قد هلكوا، فبادوا وإنما يقال: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ، إذا أريد به الخبر عن موجودين لا عمّن قد هلك.

قلت: القراءتان متواترتان، ولا مانع من إرادة الموجودين على قراءة الياء أيضاً من باب الإعراض عن خطابهم، وقد أوضح الألويسي وجوه ذلك، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» على إضمار القول، أي قل للكفرة: إِنَّ اللَّهَ إِخ، وقيل: لا حاجة إلى إضماره لجواز أن يكون «تدعون» من باب الالتفات للإيدان بالغضب، وفيه بحث، وقرأ أبو عمرو وسلام: «يعلم ما» بالإدغام. وأبو عمرو وعاصم بخلاف «يدعون» بياء

الغيبة حملاً على ما قبله و«ما» استفهامية منصوبة بتدعون. و«يعلم» معلقة عنها؛ فالجملة في موضع نصب بها و«من» الأولى- متعلقة بتدعون على ما هو الظاهر و«من» الثانية- للتبيين، وجوز كونها للتبعيض، ويجوز كون ما نافية ومن الثانية- مزيدة و«شيء» مفعول تدعون، أي لستم تدعون، من دونه تعالى شيئاً، وكأن ما يدعونه من دونه عز وجل لمزيد حقارته لا يصلح أن يسمى شيئاً؛ وجوز كونها مصدرية وهي وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يعلم على أنها بمعنى يعرف الناصبة لمفعول واحد، ومن تبعيضية، أي يعرف دعاءكم وعبادتكم بعض شيء من دونه، وقيل: «من» للتبيين و«شيء»، بمعنى ذلك المصدر وتنويه للتحقير، أي يعرف دعوتكم من دونه هي دعوة حقيرة، وجوز كونها موصولة مفعول يعلم، بمعنى يعرف ومفعول تدعون عائدها المحذوف ومن إما بيان للموصول؛ أو تبعيضية. وجوز زيادتها على هذا الوجه، وما بعده، ولا يخفى ما فيه. والكلام على الوجهين الأولين في «ما» تجهيل للكفرة المتخذين من دون الله تعالى أولياء لما فيهما من نفي الشئئية عما اتخذوه ولياً، والاستفهام عنه الذي هو في معنى النفي، لأنه إنكار، وفيه توكيد للمثل، لأن كون معبودهم ليس بشيء يعاباً به مناسب، ولذا لم يعطف، وعلى الوجهين الآخرين فيهما وعيد لهم، لأن العلم على دعائهم إياه، وترك العطف فيه، لأنه استئناف، ويجوز إرادة التجهيل والوعيد في الوجوه كلها.

وقال ابن عاشور: «وما» من قوله «ما تدعون» يجوز أن تكون نافية معلقة فعل «يعلم» عن العمل وتكون «من» زائدة لتوكيد النفي ومجروها مفعول في المعنى لـ «تدعون» ظهرت عليه حركة حرف الجر الزائد، ومعنى الكلام أن الله يعلم أنكم لا تدعون موجوداً ولكنكم تدعون أموراً عدمية، ففيه تحقير لأصنامهم بجعلها كالعدم؛ لأنها خلو عن جميع الصفات اللاتئة بالإلهية، ولم يرد في الكتاب والسنة إسناد فعل المعرفة إلى الله، فكيف يسند إليه ما يؤول بمعناها؟؟

قلت: قد ورد في الحديث «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

قَالَ تَجَالِي: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [التَّجْوِيزُ: ٥٠]

القراءات: «آيات» قرأ ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر «آية» بالتوحيد على إرادة الجنس، وقرأ الباقر «آيات» بالجمع.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ «آيات»، و«آية» بالإفراد والجمع، وهما في هذا سواء لأن القصد إلى الجنس، فالآية الواحدة كافية في التصديق.

قلت: ويحتمل أن يقال: لعل بعضهم طلب آيةً وبعضهم طلب آيات، أو لعلهم كانوا أحياناً يطلبون آيةً وأحياناً أخرى آيات.

قَالَ تَجَالِي: ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التَّجْوِيزُ: ٥٥].

القراءات: «ويقول ذوقوا» قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر، بالياء، وقرأ الباقر بالنون على الالتفات.

التوجيه: قرئ بالنون «ونقول» للدلالة على عظيم غضب الله على هؤلاء الكفار، وللدلالة كذلك على عظيم قدر الله وعظيم كبرياءه، وقرئ بالياء «ويقول» لتعيين القائل وللدلالة على أن الله هو الذي يقول ذلك تبكيتاً لهم.

قَالَ تَجَالِي: ﴿ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴾

[التَّجْوِيزُ: ٥٦]

القراءات: قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر «يا عبادي الذين» وقرأ الباقر «عبادي».

التوجيه: قرئ «يا عبادي» بسكون الياء على الأصل في ياء الإضافة، وقرئ بفتحها تخفيفاً لثقل الياء وهما استعمالان معروفان عند العرب ولغتان في المنادى، وهناك لغة أخرى

بحذف حرف النداء أصلاً لمزيد التخفيف «يا عبَادٍ» وقد نقلنا عن د/ فاضل السامرائي، في كتاب «كنوز قرآنية» الجزء الثالث، أن أشهر هذه اللغات وأجودها «يا عبَادٍ» ثم «يا عبَادِي»، ثم «يا عبَادِي» ووجه آخر أن قراءة «يا عبَادِي» تدل على مزيد القرب لما يفيدته التصاق الياء وقراءة «يا عبَادِي» بالفتح لمن هم أقل وذلك للخفة التي تفيدها فتحة الياء وقراءة «يا عبَادٍ» بالحذف لمن هم أقل، فهذا احتمالان:

١- أن يقال «يا عبَادِي» بالإسكان أجود لغةً من «يا عبَادِي» بالفتح، فتكون قراءة «يا عبَادِي» لقوم أكثر إيماناً من هؤلاء الذين نودوا في قراءة «يا عبَادِي»، ولم يقل «يا عبَادٍ» التي هي أجود اللغات لأن الخطاب في هذه الآية لقوم كان عندهم بعض التردد في هجرة ديارهم من أجل الفرار بدينهم، والمقربون الذين ينادون بأجود اللغات «يا عبَادٍ» ليس عندهم هذا التردد، فأكرم بكلام ربي الأعلى!!

٢- أن يقال «يا عبَادِي» بالإسكان تدل على مزيد القرب من «يا عبَادِي» فقراءة «يا عبَادِي» لقوم أكثر إيماناً من هؤلاء الذين نودوا في قراءة «يا عبَادِي» ولم يقل «يا عبَادٍ» لأنهم - على هذا الاحتمال - أقل من الجميع إيماناً، فلعل القراءتين في قوم هاجروا وكمل يقينهم «يا عبَادِي» وآخرون هاجروا ولكن يقينهم أقل منهم «يا عبَادِي» فاستقوا - لهجرتهم - شرف النداء الرباني لهم بينما من لم يهاجروا لم يستحقوا ذلك، ولو نودوا لقليل لهم «يا عبَادٍ»، والاحتمال الأول أرجح، والله أعلم.

فائدة: في ضوء هذا التوجيه تعرف سر قوله تعالى ﴿قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ [الزُّمَرُ: ١٠]، ولم يقرأها أحدٌ «يا عبَادِي» ولا «يا عبَادِي»، وسر قوله تعالى ﴿قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَرُ: ٥٣]، وقد قرئت «يا عبَادِي» و «يا عبَادِي»، ولم يقرأها أحدٌ «يا عبَادٍ» لأن «يا عبَادٍ» أجود لغات النداء فناسب ألا يُنادى بذلك العصاة في آية (الزمر ٥٣)، وألا يُنادى غيرها المؤمنون الكُمَّل

أصحاب رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾.

قَالَ الْعَالِي: ﴿ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿ [الْحَجَّكُوتُ : ٥٦ - ٥٧].

القرءات: قوله «أرضي واسعة» قرأه ابن عامر «أرضي واسعة»، وقرأه الباقر «أرضي واسعة». «ترجعون» قرأ شعبة بياء الغيبة، والباقر بتاء الخطاب، وقرأ يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقر بضم التاء وفتح الجيم.

التوجيه: قراءة التاء على الخطاب على أنه خطابٌ لعباد الله المذكورين في قوله تعالى في الآية الأولى ﴿ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴾ [الْحَجَّكُوتُ : ٥٦] تصبيراً لهم وتبشيراً لهم بأن ثواب هجرتهم من أرضهم لله لن يضيع وتخويفاً لهم من الركون إلى الدنيا، وترك الهجرة الواجبة، وقراءة الياء على الغيبة إعرافاً عن مخاطبة المشركين الذين منعوا المؤمنين من إقامة شرع الله في أرضهم حتى اضطروهم لمغادرة أوطانهم، فكأنه قال يا عبادي الذين منعوا من إقامة الشرع في أوطانهم: إن أرضي واسعة؛ فهاجروا فيها، ولا تركنوا إلى الدنيا، وتشغلوا بها عن الآخرة، فكل نفس ذائقة الموت سواء أكنتم في أوطانكم، أم في غيرها ثم إلينا يرجع هؤلاء المجرمون الكفار الذين أخرجوكم من أرضكم لإيمانكم، فسنجازيهم على بغيهم وظلمهم.

قر «أرضي» بياء الإضافة الساكنة على الأصل، وقرئ بفتحها «أرضي» تخفيفاً، ولعل المقصود من قراءة «أرضي» أرض الإيمان والصلاح التي يجد المهاجر فيها المعونة من أهلها على طاعة الله، فناسب ذلك إسكان الياء الذي يدل على مزيد الالتصاق، لتقوية إضافتها إلى الله، ومقصود قراءة «أرضي» الأرض التي ليست كذلك، ولكن يستطيع المهاجر فيها أداء فرائض الله وعبادته، فناسب ذلك فتح الياء والله أعلم.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التَّحْكُوتُ: ٥٨]

القراءات: «لنبوئئهم» قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر «لثوئئهم» بشاء ساكنة بعد النون، وتخفيف الواو وبعدها ياء مفتوحة، وقرأ الباقر «لنبوئئهم» بباء مفتوحة وتشديد الواو وبعدها همزة مفتوحة.

التوجيه: قال القرطبي: قرأ حمزة والكسائي «لثوئئهم» بالشاء مكان الباء من الثوي وهو الإقامة، أي لنعطينهم غرفاً يثوون فيها، وقرأ رويس عن يعقوب والحجدي والسلمي: «ليبوئئهم» بالياء مكان النون، وقرأ الباقر «لنبوئئهم» أي لننزلنهم «غرفاً» جمع غرفة وهي العلية المشرفة، وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلي والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [التَّحْكُوتُ: ٦٦]

القراءات: «وليتمتعوا» قرأ قالون وابن كثير وحمزة والكسائي وخلف العاشر بإسكان اللام، والباقر بكسرها وهما وجهان جائزان في لام الأمر.

التوجيه: قال ابن جرير: «وليتمتعوا» اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة «وليتمتعوا» بكسر اللام، بمعنى وكى يمتنعوا آتيناهم ذلك، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين «وليتمتعوا» بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ، أي: اكفروا، فإنكم سوف تعلمون ماذا يلقون من عذاب الله بكفرهم به، وأولى القراءتين عندي في ذلك، بالصواب قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد، وذلك

أن الذين قرءوه بكسر اللام زعموا أنهم إنما اختاروا كسرها عطفًا بها على اللام التي في قوله «ليكفروا» وإن قوله «ليكفروا» لما كان معناه كي يكفروا، كان الصواب في قوله «وليتمتعوا» أن يكون: وكي يتمتعوا، إذ كان عطفًا على قوله: ليكفروا عندهم، وليس الذي ذهبوا من ذلك بمذهب وذلك، لأن لام قوله «ليكفروا» صلحت أن تكون، بمعنى كي، لأنها شرط لقوله: إذا هم يشركون بالله كي يكفروا بما آتيناهم من النعم؛ وليس ذلك كذلك في قوله «وليتمتعوا»، لأن إشراكهم بالله كان كفرًا بنعمته، وليس إشراكهم به تمتعًا بالدنيا، وإن كان الإشراك به يسهل لهم سبيل التمتع بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتوجيهه إلى معنى الوعيد أولى وأحق من توجيهه إلى معنى: وكي يتمتعوا، وبعد، فقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي «وتمتعوا»، وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام، بمعنى الوعيد.

وقال ابن عاشور: قرئ «ليتمتعوا» بكسر اللام على أنها لام التعليل، وقرئ بسكون اللام فهي لام الأمر، وهى بعد حرف العطف تسكن وتكسر وعليه، فالأمر مستعمل في التهديد وهو نظير قوله تعالى «اعملوا ما شئتم»

قلت: قد نقلنا عن د/ محمد سالم محيسن أن الكسر وجهٌ جائزٌ في لام الأمر، وأمّا قول ابن جرير: وليس إشراكهم به تمتعًا بالدنيا، فقد أبان الزمخشري وجه ذلك، فقال: والمعنى أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا -بالعود إلى شركهم- كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة؛ إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم، ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع والتلذذ.

